

طرق الصلاة الفعّالة للوردية المقدّسة

بقلم الأب أنطونيو رويو مارين

إنّ التأمل في الأسرار الرئيسية من حياة يسوع ومريم يشكّل بمثابة روح الوردية، كما أنّ التلاوة الشفوية لـ«الأبانا» و«السلام عليك يا مريم» تشكّل جسدها المادي. وكلا الأمرين ضروريان تمامًا لكي توجد الوردية. فالذي يكتفي بتلاوة «الأبانا» و«السلام عليك يا مريم» دون التأمل في الأسرار، يقوم بلا شك بصلاة ممتازة، لكنه لا يصلي الوردية.

وكذلك الذي يتأمل بانتباه في الأسرار دون أن يتلو «الأبانا» و«السلام عليك يا مريم»، يقوم بتأمل رائع، لكن من الواضح أنه أيضًا لم يصلّ المسبحة الوردية. لكي توجد المسبحة الوردية، لا بدّ حتمًا من الجمع بين الأمرين: تلاوة الصلوات والتأمل في الأسرار.

كيف يمكن أن نصلي الوردية بطريقة فعّالة؟

لكي نحصل من المسبحة الوردية المقدسة على كل فاعليتها التضرعية والتقديسية، فمن الواضح أنّه لا يكفي أن نصليها بطريقة آلية ومشتتة، كما قد يفعل جهاز تسجيل. بل يجب أن نصليها بلياقة، وانتباه، وتقوى، كما في كل صلاة شفوية أخرى.

وسائل تساعد بفاعلية على الصلاة الصحيحة والتقوية لهذه العبادة المريمية العظيمة

١. يجب أن تُصلي الوردية بلياقة واحترام

هذا الشرط الأول يتطلّب، كحدّ أدنى، أن تُصلي الوردية بطريقة تليق بجلال الله الذي نوجّه إليه صلاتنا أولاً وقبل كل شيء.

وأفضل وسيلة لذلك هي أن تُصلي الوردية راكعين أمام بيت القربان أو أمام صورة تقوية للعدراء مريم، لكن يمكن عمومًا أن تُصلي في أي وضعية لائقة: جلوسًا باحتشام، أو أثناء المشي في الحقول، إلخ. أما أن تُصلي في السرير. إلا بسبب المرض. أو مع التوقف المستمر للإجابة عن أحاديث لا علاقة لها بالصلاة، أو في مكان عام ومزدحم يجعل الانتباه شبه مستحيل، فذلك أمر غير لائق.

٢. يجب أن تُصلي الوردية بانتباه

الانتباه ضروري لتجنّب عدم الاحترام الذي قد يحصل إذا كان التشتت إراديًا بالكامل. فكيف نريد من الله أن يسمعنا، إذا كنّا نحن أنفسنا لا نصغي إلى ما نقول؟

ومع ذلك، ليست كل شرودات الفكر خاطئة. فنحن لا نملك سيطرة مطلقة على خيالنا، بل سيطرة محدودة فقط، ولا نستطيع أن نمنعه دائمًا من الانفلات دون إذن، كعبدٍ متمردٍ وعنيد، وهكذا هي «مجنونة البيت» أي المخيلة (كما وصفها القديسة تريزا الافيلية).

إنَّ التشتتات غير الإرادية لا تُبطل الاستحقاق الروحي للصلاة ولا فاعليتها التضرعية، ما دام الإنسان يبذل ما يستطيع لمقاومتها وتجنّبها.

لنستمع إلى ما يقوله القديس توما الأكويني وهو يشرح بإعجاب هذه النقطة المهمة جدًّا حين يتساءل: «هل يجب أن تكون الصلاة بانتباه؟»

«هذا السؤال يتعلّق خصوصًا بالصلاة الشفهية. ولكي نجيب عنه بدقة، يجب أولاً أن نميّز بين ما هو أفضل وما هو ضروري بصورة مطلقة.

من الواضح أنّه لكي تحقق الصلاة غايتها، فمن الأفضل أن تكون بانتباه.

لكن إذا نظرنا إلى ما هو ضروري بصورة مطلقة، فيجب أن نميّز في الصلاة ثلاثة آثار:

أثر استحقاق، وأثر تضرعي، ونوع من التعزية الروحية التي تنتج في نفس المصلّي.

بالنسبة إلى الأثر الاستحقاق والتضرعي، ليس من الضروري أن يكون الانتباه حاضرًا بصورة فعلية ومتواصلة في كل لحظة، بل يكفي الانتباه الضمني الذي وُجد في بداية الصلاة واستمر خلالها، حتى وإن ظهرت تشتتات غير إرادية. أما إذا غابت النيّة الأولى، فلن تكون الصلاة استحقاقية ولا تضرعية. في المقابل، فإنّ الانتباه الفعلي ضروري تمامًا للحصول على تلك التعزية الروحية التي ترافق الصلاة الحارة، وهي لا تنسجم مع التشتت حتى وإن كان غير إرادي.

ويجب أن نلاحظ أيضًا أنّه يمكن أن توجد في الصلاة الشفهية ثلاثة أنواع من الانتباه:

١. الأول، وهو الأقل كمالًا، يتعلّق بالنطق الصحيح للكلمات.

٢. الثاني يركّز على معنى الكلمات.

٣. الثالث، والأهم، يركّز على غاية الصلاة نفسها، أي على الله وعلى الأمر الذي نصلي لأجله.

وهذا النوع الأخير يمكن أن يوجد حتى عند الأشخاص البسطاء أو الذين لا يفهمون معنى الكلمات التي ينطقون بها (كما في الصلاة باللاتينية).

وقد يبلغ هذا الانتباه من الشدّة حدًّا يجعل النفس تنجذب إلى الله بحيث تنسى كل شيء آخر.

وانطلاقًا من هذه المبادئ التي يقدّمها «المعلّم الملائكي»، ومن أجل تسهيل الانتباه أثناء صلاة الوردية واستخراج أعظم ثمارها التقديسية، يمكن اتباع الطريقة التالية التي اختبرها بنجاح كثيرون كانوا يعانون من التشتت أثناء الصلاة:

١. أثناء تلاوة «الأبانا»، ركّز فقط على المعنى العجيب لكل كلمة، دون التفكير بسرّ الوردية المقابل، لأنه من

المستحيل نفسيًا الانتباه الكامل إلى أمرين معًا.

٢. أثناء تلاوة الثلاث «السلام عليك يا مريم» الأولى، ركّز فقط على معنى هذه الصلاة وعلى تحية العذراء بها، دون التفكير في السرّ المرتبط بها.

٣. أثناء تلاوة الثلاث «السلام عليك يا مريم» التالية، فكر فقط في السرّ الذي تتأمّله، دون الالتفات إلى الكلمات المتلوّة.

٤. أثناء الثلاث أو الأربع «السلام عليك يا مريم» الأخيرة، فكّر فقط في النتائج العملية المستخلصة من السرّ، مثل:
تواضع مريم، محبتها للصليب، إلخ.
٥. أثناء تلاوة «المجد للأب»، ركّز فقط على تمجيد الثالوث الأقدس.

٣. يجب أن تُصلّي الوردية بتقوى

أخيرًا، يجب أن تُصلّي الوردية بتقوى.
والتقوى هي استعداد النفس لخدمة الله. ومن المستحيل تقريبًا ألا تمتلئ النفس بالتقوى إذا صلّت الوردية بأفضل طريقة ممكنة.

وهنا يجب التنبيه إلى أمر بالغ الأهمية:

إنّ الهدف الرئيسي من كل صلاة، سواء كانت شفعية أم عقلية، هو اتحاد النفس بالله بأعمق طريقة ممكنة. وكل ما عدا ذلك، حتى الطلبات والنعم التي نسألها، يبقى أمرًا ثانويًا بالنسبة لهذه الغاية السامية.

ومن هنا يجب أن نستنتج أنّه إذا شعرت النفس أثناء صلاة الوردية، أو أي صلاة شفعية غير إلزامية، بمحبة لله شديدة جدًا تجعل التلاوة شاقة أو شبه مستحيلة، فعندئذ ينبغي إيقاف التلاوة فورًا دون أي خوف أو تأنيب ضمير، لكي «تدع النفس نفسها تحترق بصمت» في لهيب تلك المحبة الحيّة «التي مذاقها حياة أبدية وتوفي كل دين»، كما يقول القديس يوحنا الصليب.

إنّ صلاة الوردية وفق الشروط التي ذكرناها تُعتبر إحدى أعظم وأوضح علامات الاصطفاء التي يمكن للإنسان أن ينالها في هذا العالم، لأنها تجمع بين الفاعلية الأكيدة للصلاة من أجل المثابرة الأخيرة، وبين شفاعة مريم العذراء القوية جدًا، بصفتها الوسيطة العامة لكل النعم.

عندما يُعطى رفاتي

بالكفن الأبيض،

فليخلّصني ثوبك الكرملي،

ولتكن بين أصابعي الباردة

حبّات مسبحتك!

ترجمة الأخت مريم فرح المسيح الطوال

رهينة الكلمة المتجسد